سينما

«الموتى لا يؤذون» لفيغو مورتنسن

عناصر وسترن بطرح مختلف

الفيلم الثاني لفيغو مورتنسن مخرجاً افتتح الدورة 58 لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي»، مُقدّماً عناصر أفلام الوسترن بأسلوب مختلف

كارلوفي فاري
محمد هاشم عبد السلام

نجح الممثل الدنماركي فيغو مورتنسن (1958) في تقديم نفسه، للمرّة الثانية مخرجا سينمائيا مُتمكّنا ومُقنعا، في جديده «الموتى لا يؤذون»، الذي افتتح الدورة 58 (28 يونيو/حزيران ـ 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي»، إذْ بدا كأنّه يمتهن الإخراج أساساً. إضافة إلى تمكّنه الإخراجي الملحوظ، وأدائه المتوازن للشخصية الأولى، وصوغه الاحترافيّ للسيناريو والموسيقى التصويرية، جذب الانتباه إلى فيلمه بخلطةٍ فنية مُنسجمة للغاية، تجمع بين الدراما والرومانسية، وتنتمي إلى أفلام الغرب الأميركي، الوسترن. ولأنّه ليس وافداً جديداً على الوسترن، إذْ مثّل سابقاً في أفلام منتمية إلى هذا النوع، وفيلمه هذا ليس الأول له ممثلا يقف وراء الكاميرا، استطاع بخبرة وجرأة لافتتين تقديم نفسه مخرجاً مُتمكّناً في هذه النوع الصعب؛ وتقديمه قصة رومانسية خالصة في نوع سينمائي لا تتمحور حبكته أساساً حول الحب والرومانسية، عادة. وذلك من دون تعويل كثير على حبكة، قوامها العنف والمكائد والخيانات وعمليات السطو على العربات والقطارات، والملاحقات والمطاردات على ظهور الأحصنة، مع لعلعة الرصاص في معارك طويلة بين أخيار وأشرار وعصابات متنافسة، وغيرها من أمور معتادة في الوسترن التقليدي.

صحيحٌ أنّ عناصر النوع موجودة في «الموتى لا يؤذون»، لكنّ طرحها يختلف كثيراً عن المعتاد. يكفي أنّها ذات حضور هامشي وغير محوري في الأحداث الرئيسية. وهذا، ربما، سرّ تميّز مورتنسن وإحكامه، بصفته مخرجاً، السيطرة على جوانب فيلم، تحصل أحداثه في ستينيات القرن 19. طبعاً، هناك أعمال عنف متنوّعة، وإطلاق رصاص، ومطاردات بسيطة. لكنّ هذا يُقدّم بشكل واقعي، وبحسب احتياج السياق، وباقتضاب، لا بالمدة الطويلة المعتادة في تلك الأفلام. أيضاً، وكالعادة، يسير الوسترن في سياق خطّي تصاعدي تشويقي، يلاحق الأحداث والأبطال من دون هوادة حتى النهاية. هذا تخلّى عنه مورتنسن إلى حدّ كبير. ففي مشهد الافتتاح، احتضار البطلة الحبيبة وموتها، فيفيان لو كودي (فيكي كريبس)، والحزن البالغ الذي يصيب حبيبها هولغر أولسن (مورتنسن). ثم يبدأ «فلاش باك» طويل جداً، يُعرف في نهايته سبب موت البطلة.

لا يكتفي مورتنسن بهذا. ففي السياق، تتخلّل الأحداث لقطات «فلاش باك» سريعة وطويلة ومربكة ومحيّرة في البداية، يُعرف لاحقاً أنّها تسرد جانباً من طفولة البطلة وتخيّلاتها وأحلامها وأوهامها.

رغم التنفيذ الاحترافي للقطات بواسطة المونتير بيدير بيدرسن، يصعب تفسير إكثار مورتنسن من الـ«فلاش باك». لكن هذا خيار فني وتقني، وتوظيفه إياه، بل كثرة توظيفه إياه وتداخله، والقفزات الزمنية بين الماضي والحاضر، تُسبّب إرباكاً كبيراً للمُشاهد. كما أن لا فائدة فنية ودرامية منها. صحيحٌ أنّها لم تفسد السرد، ولم تكن عائقاً أمام تدفقه، لكنّها لم تُضف جديداً. مثلاً: كلّ ما يتعلّق بماضي البطلة وطفولتها ومشاهدها في الغابة، ثم لقاء الفارس المُدَرَّع. رغم الأهمية النسبية لهذا في تفسير شخصيتها، فإنّ إسقاطها لم يؤثّر كثيراً على فهم الشخصية وتكوينها، باستثناء محاولة الربط بين فقدان فيفيان والدها في الحرب ضد الإنكليز، ومشاركة حبيبها هولغر في الحرب نفسها، ما يُحيل في السياق الإجمالي إلى أجواء الحروب الأميركية، عامة.

> لقطات فلاش باك سريعة وطويلة ومربكة ومحيّرة في البداية

يؤدّي مورتنسن دور هولغر أولسن، المهاجر الدنماركي القوي والهادئ والصامت والرزين والوسيم. محارب وعسكري سابق، يُصبح عمدة بلدة صغيرة في الغرب الأميركي. يعيش وحيداً في كوخ صغير في الوادي. ذات يوم، يذهب إلى السوق، ويلتقي فيفيان، بائعة الزهور الكندية الفرنسية، العزباء المستقلّة، ذات الشخصية القوية الصارمة. يتعرف أحدهما إلى الآخر، فيحدث انجذاب بينهما، ثم تنمو العلاقة وتتطوّر إلى حبّ صادق وجارف. هذا يدفع فيفيان إلى الانتقال إلى كوخه الخرب المهجور، وتحويله تدريجياً إلى جنّة زوجية ينعمان بها. لكنّ هذه الجنة لا تدوم طويلاً، مع قرار هولغر الانضمام إلى الجيش، للحصول على مبلغ مالي من التجنيد يحتاجان إليه، وللمحاربة من أجل ما يعتقد أنّه لصالح الأمّة الأميركية. ما يعني تركه فيفيان فترة غير معلومة، وربما عدم عودته نهائياً.

لخلق التوازن الدامي وتوليد الصراع، في مقابل الخط الدرامي الرومانسي بين فيفيان وهولغر، وبغية تفجير أزمات تخرج الشخصيات عن أطوارها للدفاع عن نفسها وحياتها، تقع أحداث في البلدة التي يسيطر عليها وعلى ناسها رجل أعمال متعجرف يدعى ألفرد جَفريز (غاريت ديلاهَنت). كما يثير ابنه العنيف وشبه المختل وَسْتون (سولي ماكلاود) الرعب بين الناس، في إدارة عمدة متخاذل ومتواطئ يُدعى رودولف شيلر (داني هوستن)، المتورّط في أمور كثيرة مع ألفريد. فور ذهاب هولغر إلى الحرب، تتقاطع الخطوط تدريجياً، وتنتهي باغتصاب ويستون لفيفيان، ثم حملها وإنجابها صبياً تسمّيه فنسنت (أتلس غرين). يعود هولغر بغتة من الحرب، ويُفاجأ بما حدث. تتطوّر الأمور، ويكون انتقام. ثم ينكشف سبب وفاة فيفيان، واعتبار هولغر فنسنت ابناً له.

رغم هذا الانجلاء الكلاسيكي للحبكة، لم تكن النهاية موفّقة، خاصة مشهد الختام الطويل نسبياً عند شاطئ البحر، غير المهمّ، الذي لم يضف جديداً إلى النهاية، المعروفة سلفاً.

فيغو مورتنسن ممثلا في «الموتى لا يؤذون»: سياق تصاعدي للسرد (الملف الصحافي)

أفلام جديدة

■ Xoftex لنواز ديشي، تمثيل عبد الرحمن دياب وأسامة حفيري وأمل عمران (فيسبوك): العنوان اسم مخيّم للاجئين في اليونان، يصل إليه سوريون وفلسطينيون يريدون اللجوء السياسي إلى أوروبا. لتمضية الوقت بين مقابلات مع مكتب الهجرة، يصوّر ناصر وأصدقاؤه مَشاهد ساخرة، ويحضّرون فيلم رعب عن الزومبي. أمّا واقع المخيّم فسيناريو رعب بحدّ ذاته. هناك توتر بين المقيمين فيه، وصراعات تزيل لبنة أخرى من الجدار الفاصل بين واقع وحلم وكابوس.

■ Tiny Lights لبَياتا باركانوفا، تمثيل ميا بانكو (الموقع الإلكتروني لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي»): أمَلكا (ستة أعوام) تحبّ قطّتها ووالديها وجدّها وجدّتها. ذات صيف، تتمنى أن يكون اليوم طبيعياً، لكنّ الأمور تتعقّد، فوالداها حبسا نفسيهما في غرفة، وأصوات ترتفع (هناك أيضاً الجدّان)، وهذا غير طبيعي، فهناك شيء ما يحدث ولا تعرف أمَلكا شيئاً عنه.

■ Rude To Love ليوكيهيرو موريغاكي، تمثيل نوريكو إغوشي (فيسبوك): تعيش مومو كو فترة صعبة للغاية، رغم أنّها تجهد في ترتيب أمور بيتها الزوجي، وتهتمّ بحماتها المقيمة إلى جانبها. لكنّ شيئاً ما يُبعد زوجها عنها، وضغوط راهن وماض تُرهقها، إلى أنْ يُخبرها الزوج بأنّه مرتبط عاطفياً بامرأة أخرى، ويريدها أنْ تلتقي بها ليعتذرا معاً أمامها، فيتمكّنان من العيش معاً براحة وهدوء.

■ «كابو نيغرو» لعبد الله الطايع، تمثيل يونس بايج وأميمة بريد (Getty): سندس وجعفر، شابان مثليان من المدينة المغربية الدار البيضاء. يمضيان معاً فصل الصيف في «كابو نيغرو» (شمالي المغرب)، في فيلا استأجرها العشيق الأميركي لجعفر. في غياب هذا الأخير، يقرّر الصديقان البقاء في الفيلا، وتدبير أمورهما كيفما كان، ريثما تنجلي أمورٌ كثيرة في حياتيهما، أو ربما ريثما ينتهي فصل الصيف.

■ March To May لمارتن بافول ريْكا، تمثيل سوزانا فيالوفا (الموقع الإلكتروني لـ«مهرجان مارلوفي فاري السينمائي») وجوزيف أباڤي ونَتاليا فاسانكوفا: تعيش عائلة صغيرة في منزل قروي قديم. الآباء يتقدّمون في السن ببطء، والأطفال يكبرون. واضحٌ أنّهم يسيرون في طريقهم الخاصة. يتعطل الإيقاع الثابت للحياة اليومية بسبب أخبار غير متوقّعة عن حَمَل الأم، وفكرة أخ جديد تؤثّر تدريجياً على جميع أفراد الأسرة.

«نجوم» كارلوفي فاري بعدسة تونو سْتانو

أسود وأبيض يتكاملان في بوحٍ ذاتي

كارلوفي فاري ـ **نديم جرجوره**

يُقال إنّ صورة فوتوغرافية له تمنحه شهرةً دولية أكبر، مع أنّ مهنته قادرةٌ على فعل ذلك. الصورة ملصقٌ لفيلم ShowGirls لبول فيرهوفن (1995). هذا غير مهمّ، لأنّ الحدث الراهن أهمّ، فناً وتعبيراً واشتغالاً، والأخير منبثقٌ من مسائل بسيطة للغاية. التصوير الفوتوغرافي بالنسبة إليه فنّ (أو هذا ما يُظَنّ به على الأقلّ)، وصُور عدّة، مُلتَقَطة في دورات سابقة لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي»، تعكس شيئاً جميلاً من حِرفيّة، تُتيح للفنّ إبراز ما في اللقطة من جمال وتلاعب وبصيرة. السلوفاكيّ تونو سْتانو (مواليد 1960 في «زْلاتي مورافْتْزي»، تشيكوسلوفاكيا السابقة) يصنع من نجوم ونجمات السينما التشيكية والأجنبية، الأميركية. الهوليوودية تحديداً، معبراً بصرياً لإظهار ما في تكوينه الفني من براعةٍ في جعل الأسود والأبيض، مع أولئك النجوم والنجمات، أجمل من كلّ لون، وأعمق من كل تعبير.

قول هذا منبثقٌ من معرض فوتوغرافي لسْتانو، بعنوان «نجوم (STARS)»، بمناسبة الدورة الـ58 (28 يونيو/حزيران ـ 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي»، مُقام في غاليري Sparkasse ـ ساحة المسرح في المدينة التشيكية، في الفترة نفسها للدورة تلك. صُور ممثلين وممثلات، ومخرجين ومخرجات، من التشيك وأميركا والعالم، مُلتَقَطة في دورات سابقة للمهرجان، لكن في أمكنةٍ مختلفة (غرفة، صالة مطعم، ممرات في مبنى، أمام شرفة... إلخ) وفي حالات عدّة، وفي كادرات غير متشابهة، وفي انفعالات لعلّها تتصادم فيما بينها، فالأروع كامنٌ في منافذ شبه خفيّة، تُتيح لناظر أنْ يُدرك رحابة المدى المفتوح على تواصل بَين داخلٍ وخارج في ذات وروح، وبين ظاهر ومبطّنٍ في خلفية لقطة، أي في اتّساع محيطٍ غير محاصِر شخصيةَ كلّ صورة، لأنّ في المحيط امتداداً للشخصية وإطارها ولقطتها، أي للحظة التقاط الصورة، التي يُحضَّر لتصويرها وقت تتفاوت مدّته بين شخصية وأخرى. بينيثيو دل تورو وجون ترافولتا وأندي غارسيا (وحده تارة، ومع ابنته تارة أخرى) وروبرت دي نيرو وجون مالكوفيتش وهلن مرين وسكارليت جوهانسن ومورغان فريمان (الذي تُختار صورته لتكون ملصق المعرض) وجودي دانش ويليام دافو ووودي هارلسن وشارون ستون وكايسي أفلك وأوما ثورمون وغيرهم، إلى التشيكيين بافيل ليسكا وآنا غيزليروفا وإيفان تروجان (70 صورة فوتوغرافية).

تونو سْتانو: أنْ تُساعد العدسة الفوتوغرافية على قول وانكشاف (فيسبوك)

> مدى مفتوحٌ على تواصلٍ بين داخلٍ وخارج في ذاتٍ وروح

بحسب تصريح لتونو سْتانو، فإنّ التعاون مع المهرجان نفْسه سيكون «طويل الأمد»، أي أنّه غير منتهٍ بهذا المعرض، إذْ يُخطَّط لتصوير «نجوم» آخرين في دورات مقبلة، آخرهم فيغو مورتنسن، المُكرَّم في افتتاح الدورة الـ58.

لقطات أولئك تبدو كأنّها تستخرج من كل شخصية سينمائية ما يظن مُلتقطها أنّه نواة مخبّأة في ثنايا جسدٍ وروح، أو جانبٌ من تركيبة نفسية ومادية لكائن بشريّ، يرى فيه المُصوِّر سْتانو ما لا يراه كثيرون وكثيرات. الضوء في الأسود والأبيض (أكثر من صورة لدافو ومالكوفيتش وغارسيا مثلاً) لغة إضافية في تفكيك ذاك الكائن المتحوِّل، أمام العدسة الفوتوغرافية للفنان السلوفاكيّ، إلى مرآةٍ تختلط فيها الهشاشة والبساطة مع كيانٍ شبه متكامل من قول . تعبير . بوح، يتشارك الفنان والشخصية السينمائية، وإن بصمت، في ابتكار مفاصلهما (الكيان وثلاثية القول . التعبير . البوح) وأدواتهما.

وإذ تمتلك كل صورة منفذاً إلى ما وراء الشخصية السينمائية والفنان معاً، فإنّ الإضاءة المستخدمة في غرف الغاليري إضافة نوعية إلى المحمَّل فيها (الصور . اللقطات) من انفعال وحركة ونظرة.